تأثير البلاغة العربية في البلاغة الأردية

عاشق حسين مير
المحاضر المتعاقد،
الكلية الحكومية بجبهارة، أننت ناغ

التمهيد:

لا يختلف فيه الاثنان إن التأثير والتأثر بين اللغات ما زال تجري منذ ما احتكت القبائل والمجتمعات مع الآخر، وتمتد هذا التأثير والتأثر بامتداد احتكاك القبائل والمجتمعات مع الثقافات والحضارات المتنوعة أيا ما كان، وأما اللغة العربية فإنها من أقدم اللغات التي أثرت وتأثرت في جميع اللغات الحية العالمية بكونها لغة ذات جذور قوية من حيث البنية والدلالة ولكونها لغة القرآن والأحاديث النبوية، حيث لما انتشرت الإسلام انتشرت اللغة العربية معه واحتكت بالثقافات والحضارات المتنوعة، وتركت آثارا كبيرا على اللغات والفنون الأخرى كما أنها أخذت الأثر من اللغات الأخرى أيضا. وقدمتُ في هذه المقالة تأثير البلاغة العربية في البلاغة الأردية، وذلك لأن اللغة الأردية تأثرتْ إلى حد بعيد من اللغة العربية في تكوين الجمل وتنسيق العبارات وتحسين الكلام البليغ حتى أن معظم قواعد البلاغة الأردية وضوابطها أتت من اللغة العربية سواء أ كانت من ناحية القواعد أم من قبل علوم المعاني والبيان والبديع.

تأثير البلاغة العربية في البلاغة الأردية:

لا ريب فيه أن اللغة العربية تركت أثرا كبيرا في اللغة الأردية في جميع نواحيها وجوانبها، وهذه اللغة أخذت واستعارت القواعد البلاغية عند تكوين جملها وتدوين فنونها البلاغية من أمثال علوم البيان والمعاني والبديع، وذلك أن علماء المسلمين الأوائل لعبوا دورا محوريا في استخدام القواعد العربية البلاغية على البلاغة الأردية لأنهم كانوا على إلمام تام باللغة العربية ولم يكن لديهم بديل ولأنهم كانوا متأثرا باللغة العربية وبلاغتها المعجزة ومن ثم نقلوا كل ما يتعلق بالآداب العربية من البلاغة وجزئياتها إلى الأردية. حتى أننا نجد الغرض بين اللغتين لوضع البلاغة على حد سواء

فمثلا كان الغرض من وضع علم البلاغة في اللغة الأردية هو العلم بالتراكيب الواقعة في الكلام وهي الغاية نفسها التي توجد في البلاغة العربية، وفي البداية بدأت هذا التأثر والتأثير بترجمة الكتب العربية البلاغية إلى الأردية، لذا نرى أن الكتب الأردية المتداولة الآن في مجال علم البلاغة الأردية معظمها مترجم من كتب علم البلاغة العربية، حتى تمّ ترتيبها على حسب الموضوعات الموجودة في الكتب العربية. ولا نبالغ عندما نقول إن واضع علم القواعد البلاغية للغة الأردية قلّدوا تقليدا كاملًا في تدوين وترتيب علم البلاغة الأردية. وبإمعان النظر البليغ يتضح لنا أن الكتب البلاغية التي أُلفت للقواعد البلاغية للغة الأردية القديمة جُلها تبدأ بذكر الفصاحة والبلاغة ثم يأتي ذكر كل من البيان والمعاني والبديع مثلما ذُكِرتْ في الكتب العربية. ولدينا كتب عديدة تم تصنيفها على هذا المنوال نفسه مثل "بحر فصاحت" لصاحبه نجم الغني رامبوري، و" تسهيل البلاغت" لمحمد سجاد مرزا بيگ الدهلوي، و"معيار بلاغت" لصاحبه ديبي پرساد سحر بدايوني.

وبالإضافة إلى ذلك أن بعض العناصر الموجودة في علم البديع الأردي التي جاءت من اللغة الفارسية أو وضعها الهنود. ولكن هذه العناصر قليلا جدا بالنسبة للغة العربية، فنجد مثلا تعريف علم البلاغة لغويا في الأردية هو نفس التعريف الموجود في اللغة العربية، حيث كتب السيد هاشمي في كتابه "جواهر البلاغة" فيقول: "البلاغة في اللغة الوصول والانتهاء، يقال بلغ فلان مراده إذا وصل إليه وبلغ الراكب المدينة إذا انتهى إليها ومبلغ الشيء منتهاه.[١]

وهذا المفهوم يُوجد أيضا في اللغة الأردية حيث نجد الكلمات المستعملة لتعريف علم البلاغة في اللغة الأردية تؤتي المعنى نفسه من خلال استخدام الكلمات، مثل بالغ،

[١]. السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط: مطبعة السعادة، مصر العربية عام١٩٦٠ م، ص:٣١

تبليغ، إبلاغ، بلوغ، ومبلغ وغيرها.[١]

وأما الشروط التي وُضعت في اللغة العربية للتأكيد على كلام فصيح نجد الشروط نفسها أيضا في اللغة الأردية. فبهذا الاعتبار يكتشف أمامنا أن الكتب الأردية في مجال البلاغة كلها تؤكد على وجود تأثير اللغة العربية القوية حيث ذُكرتْ في بعض الكتب العربية القديمة بعض العناصر من البلاغة والتي ذُكرت من ضمن علم البلاغة مثلا الدلالة التي نجدها عند علماء علم اللغة الأردية فمثلا عرّف ديبي پرساد سحر بدايوني في كتابه "معيار بلاغت" علم الدلالة معتمدا على الكتب العربية القديمة حيث أنه قسم علم الدلالة في اللغة الأردية إلى "دلالت لفظي وغير لفظي، عقلي وطبيعي ووضعي ومطابقي وتضمني والتزامي" وغيرها، وهي الدلالة اللفظية، والعقلية والطبيعية والوضعية ودلالة تضمن ومطابقة ودلالة الالتزام وغيرها.[٢] ونفس التقسيم للدلالة نرى في البلاغة العربية.

أما علم البيان فهو عنصر مهم من علم البلاغة العربية هو مأخوذ أيضا من اللغة العربية وهذا يتجلى من التعريف التالية عندما عرّف نجم الغني رامبوري علم البيان في الأردية قائلا:

> "علم بيان ايسے قاعدوں كا نام ہے كه اگر كوئى ان كو جانے اور ياد ركھے تو ايک معنى كو كئى طرق سے عبارت مختلفه ميں ادا كرسكتا ہے۔ جن ميں سے بعض طرق كى دلالت معنى پر بعض سے زياده واضح ہوتى ہے۔"[٣]

وليس هناك فرق بين هذا التعريف الأردي وما جاء عند الخطيب القزويني حيث

---

[١]. الدكتور السيد عليم أشرف جائسي: *اردو بلاغت پر عربى كے اثرات*، مقالة نشرت في مجلة معارف الأردية، عدد ديسمبر عام ٢٠١٢ م، ص٤٤٧

[٢]. ديبي پرساد: *معيار بلاغت*، ط ٥: مطبع نول كشور لكهنؤ ١٩٤٧ م، ص ٣

[٣]. نجم الغني الرامبوري: مفتاح البلاغت، مطبعة خادم التعليم لاهور، ١٩٢١م، ص ١

يقول: "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[١]

أما أركان التشبيه في علم البيان فهي أيضا في اللغة الأردية مستعارة من اللغة العربية أي "مشبه، مشبه به، وجه الشبه وأداة تشبيه، ويتم تعريفها مثل اللغة العربية ويطلق على مجموعة مشبه ومشبه به "طرفا تشبيه" في اللغة الأردية وهي كلمة مستعارة من العربية.[٢] ومثل اللغة العربية يكون في اللغة الأردية مشبه ومشبه به حسيا وعقليا والعكس. والهدف من التشبيه واحد فهما، والغريب أن علماء اللغة الأردية عرضوا في كتابهم هذه الأركان وغيرها بنفس الترتيب الذي ذكرها القزويني في كتابه وهذا دليل على وجود تأثير اللغة العربية ومظهرها في اللغة الأردية.[٣]

ومثل التشبيه نجد أن المؤلفات الأردية البلاغية تبدأ بتعريف بيان الاستعارة مقتبسا من اللغة العربية كل ما يتعلق بتعريفها وأقسامها وترتيبها متخذا الأسماء نفسها مثل: مستعار له، مستعار منه، وجه جامع، أي الجامع، وطرفا استعارة وغيرها. وأما أسماء أقسام الاستعارة وأنواعها في الأردية وهي: "أصلية، تبعية، مطلقة، مجردة، مرشحة، تمثيلية تصريحية ومكنية وغيرها" جميع هذه الكلمات عربية الأصل والفصل.[٤]

وبعد ذكر الاستعارة يأتي بيان المجاز بنفس الترتيب العربي. وكل ما يتعلق بأقسام المجاز الحقيقي والمعنوي ووجود العلاقات مع بعضهما البعض وما يتعلق بالمصطلحات المستخدمة في العربية جلها تستخدم في الأردية نفسها.[٥]

ومثل اللغة العربية يأتي ذكر "الكناية" في اللغة الأردية، والتي تم تعريفها بـ" لفظ

---

[١]. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩ ه): تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، ط : دار إحياء التراث العربي، مصر دون تاريخ، ص ٦٦

[٢]. انظر تسهيل البلاغت لمحمد سجاد ميرزا بيگ ، ط: محبوب المطابع دهلي الهند، دون تاريخ، ص ١٣١-١٣٨

[٣]. معيار البلاغت، ص ٣٨

[٤]. نفس المرجع، ص: ٣٩-٤٠

[٥]. حمد عسكري: آئينہ بلاغت، ط: مكتبة صديق لكهنؤ الهند ١٩٣٧ م ، ص ١٧٤

لا يراد به الظاهر من معناه، وإنما هي لفظ أُطلِق وأُريد به معنى آخر"[1]، ويعرفها محمد سجاد مرزا فيقول:

"كنايه: اصطلاح علم بيان ميں ايسے كلمه كو كہتے ہيں جس كے لازمى معنى مراد ہوں اور اگرحقيقى معنى مراد لئے جائيں تو بہى جائز ہو"[2].

وكما جاء تقسيم الكناية في اللغة العربية جاء في الأردية أيضا كمثله، مثلا: الكناية عن الصفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة، أي "موصوف سے كنايه، صفت سے كنايه اور نسبت سے كنايه".وبجانب ذلك مثلما تم تقسيم الكناية على حسب قلة وكثرة الوسائط في معنى اللازم والحقيقي وإبراز المعنى الضروري أو إخفائه إلى الأقسام العديدة التي اتخذتها اللغة الأردية لنفسها بنفس الاسم والفعل الموجود في اللغة العربية.[3]

ومما سبق في علم البيان تتناول الكتب الأردية وجوه البلاغة على غراره ويتم تعيين درجاتها مثلما تتناولها الكتب العربية أي أن المجاز أبلغ تعبيرا من الحقيقة وأن الكناية أكثر تأثيرا من التصريح بالكلام والاستعارة أقوى من التشبيه.[4]

أمّا علم المعاني فهو فرع آخر من فروع علم البلاغة كما هو ليس بأقل في الأهمية من البيان والبديع، بل في الواقع هو أهم منهما لأنهما يؤديان إلى ازدياد التأثير في الكلام، أما علم المعاني فمن خلاله يصل الكلام إلى أبلغ ما يكون فهو يرشدنا إلى اختيار التركيب اللغوي المناسب للموقف، كما يرشدنا إلى جعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون دلالة على الفكرة التي تخطر في أذهاننا. ونظرا إلى أهميته في علم البلاغة نلاحظ أن الكتب القديمة في العربية والأردية في البلاغة تبدأ من هذا الفرع.

يقدم السيد الهاشمي تعريف علم المعاني بهذا القول:

---

[1]. تلخيص المفتاح، ص ٩١

[2]. تسهيل البلاغت، ص ١٤٥

[3]. آئينہ بلاغت، ص ١٧٤-١٧٥

[4]. تلخيص المفتاح، ص ٩٣

"أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقًا لمقتضى الحال بحيث يكون وفقا لغرض الذي سيق له"[1].

وهذا كتاب "بحر فصاحت" يعرف علم المعاني كأنه مترجم من العبارة المذكورة، فالعلم المعاني حسب قوله:

علم معانی ایسے قواعد کا نام ہے جن سےیہ بات معلوم ہوجاتی ہے کہ یہ لفظ مقتضاء حال کے مطابق ہے یانہیں اور اگر ان قواعد کا لحاظ رکھیں تو کسی لفظ کے معنی مراد لینے میں خطا وغلطی واقع نہ ہوگی"۔[2]

نظرا إلى موضوعات علم المعاني تتجلى منها أنها أيضا مستعارة من اللغة العربية، وجاءت هذه الموضوعات نفسها بأسمائها دون ألف ولام في كتاب الأردية المسمى بـ "مفتاح البلاغت":

"علم معانی آٹھ چیزوں سے بحث کی جاتی ہے: اسناد خبری، مسند الیہ، مسند، متعلقات فعل، قصر، انشاء، فصل ووصل، ایجاز واطناب ومساوات"[3]

وذكر خطيب القزويني قائلا: "ينحصر علم المعاني في ثمانية أبواب: أحوال الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه، أحوال المسند، أحوال متعلقات الفعل، القصر، الإنشاء، الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة" [4].

وجدير بالذكر هنا إلى أن الكتب الأردية التي تتناول علم المعاني وتعريفه وأقسامه تتبع في ذلك نفس المنهج العربي وأسلوبه، فنجد مثلا نفس الطريقة التي تم استخدامها لدى تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء وتقسيم الإنشاء إلى طلبي وغير طلبي، وفي التعريف عن المسند والمسند إليه والغرض من إلقاء الخبر، وخروج الخبر عن مقَتضى الظاهر

---

[1]. السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط: مطبعة السعادة، مصر العربية عام ١٩٦٠ م، ص ٤٦

[2]. نجم الغني الرامپوري: بحر فصاحت، ط: مطبع نول كشور، لكهنؤ دون تاريخ، ص: ٣٤٧

[3]. مفتاح البلاغت، ص ٤٧

[4]. تلخيص المفتاح، ص ٨

وغيرها جاءت من علم المعاني العربية. والآن لا نبالغ عندما نقول إن الكتب الأردية القديمة في البلاغة أشبه بالكتب العربية البلاغية من الكتب الأردية الحديثة، فمثلا نجد المجاز العقلي مذكور في فن البيان في الكتب العربية الحديثة بينما نجده في الكتب الأردية من ضمن أبواب علم المعاني على منوال الكتب العربية القديمة.[١]

أما علم البديع فهو يأتي تحت الرقم الثالث من حيث الفن البلاغي. ويعرفه القزويني فيقول:" علم يعرف به تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة."[٢]

وجاء تعريف علم البديع في الكتب الأردية:

"بدیع ایک ایسا علم یعنی ملکه ہے جس سے چند ایسے امور معلوم ہوتے ہیں جو خوبی کلام کا باعث ہوتے ہیں مگر اول اس بات کی رعایت ضروری ہے که کلام مقتضائی حال کے مطابق ہو اور اس کی دلالت مقصود پر خوب واضح ہو"[٣]

وهكذا جُلّ أقسام المحسنات المعنوية واللفظية دخلت إلى الأردية بنفس الاسم مثل "مطابقت، تورية، مراعاة النظير، مقابلة، حسن تعليل، تأكيد المدح بما يشبه الذم، جناس أو تجنيس وسجع وغيرها. وأمّا فن التلميح وهو فن من فنون البديع هكذا دخل هذا الفن أيضا مع فنون البديع الأخرى إلى الأردية. وبينما كان بعض الباحثين في اللغة الأردية يعتقدون أن هذا الفن لم يدخل إلى الأردية من العربية بل من الفارسية.[٤] ولكن في الواقع أنهم يقولون هذا القول بعدم معرفة من اللغة العربية وآدابها والواقع أن اللغة الفارسية تأثرت أيضا من اللغة العربية والآن يمكن لنا القول إن هذا الفن جاء من العربية إلى الفارسية والأردية على السواء. ومن المعلوم أن فن التلميح يوجد في كل لغات العالم ولكن لم يعتبر في بعض اللغات كفن في لغة ما وهذا

---

١. علي الجارم: البلاغة الواضحة، ط: مكتبة دانش، دهلي الهند دون تاريخ، ص ١١١

٢. تلخيص المفتاح، ص ٩٣

٣. مفتاح البلاغت، ص ١٥٩

٤. انظر على سبيل المثال ظهير رحمتي: *غزل کی تنقیدی اصطلاحات*، ط: دهلي ٢٠٠٥ م، ص ١٨٧

ما حدث في العربية أيضا حيث ما كان علماء اللغة يعتبرونه كفن إلى القرن الثامن الهجري إلى أن جاء السيد شريف الجرجاني المتوفى في ٨١٦ هـ في بداية القرن التاسع الهجري فذكر فن التلميح في كتابه المعروف "التعريفات".[١] ومنذ ذلك الوقت يتردد هذا الفن في كل الكتب البلاغية في العربية والأردية والفارسية.

هذا، مما سبق حول تأثير البلاغة العربية في البلاغة الأردية يدل على مدى تأثير اللغة العربية وآدابها في اللغة الأردية وآدابها والتي ما كان ممكنًا دون تغلل الثقافة الإسلامية ونشرها في شبه القارة الهندية التي أصبحت بعد الفتوحات الإسلامية لها جزأ لا يتجزأ من الدول الإسلامية حكم فيها المسلمون قرون عديدة، اتخذوها المسلمون الفاتحون وطنًا وسكنًا ومعاشًا ومدفنًا، ووهبوا لهذا البلد أفضل ما عندهم من عقيدة ورسالة وأخلاق وسجايا ومقدرة وكفاية وتنظيم وإدارة، فنقلوها من طور البداوة إلى طور الحضارة. فبناء على ما مر يمكن لنا القول ان اللغة العربية قد أثرت على حد كبير على اللغة الأردية ولا سيما على البلاغة الأردية كما ذكرنا سابقا، ولا نبالغ عندما نقول إن البلاغة الأردية وقواعدها الوضعية جميعها مقتبسة ومأخوذة من البلاغة العربية من حيث القواعد والبنية ومن حيث التقسيم والتعليل.

[١]. انظر السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ ه/ ١٤١٣ م): التعريفات، ط: عالم الكتب، بيروت ١٩٨٧ م، ص ٩٥